نصوص في غير سياقها؟ الشعر في المسجد

Non contextuel texts,poetry in the mosque

محمد النوي*

جامعة القيروان-تونس naouiprof@gmail.com

تاريخ الإرسال:31-05-2019 تاريخ القبول:14-07-2019 تاريخ النشر: 30-06-2020

ملخّص: تتنزّل هذه الدراسة ضمن إعادة قراءة التراث الإسلامي قصد مراجعة كثير من المسلّمات السّائدة اليوم. ولعل من هذه المسلّمات السائدة رفض الضمير الإسلامي اتّخاذ المسجد منبرا لإنشاد الشعر والنظر إلى هذه الظاهرة بوصفها بدعة أو حراما بيّنا أو على الأقل يبدو الشعر مقالا في المسجد مفارقا للمقام أي محمولا على الفساد.

لقد قادنا تتبّع ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد إلى رصد ثلاث مراحل أساسية في حياة هذه الظاهرة: مرحلة المندوب فمرحلة المكروه فمرحلة الممنوع. ولئن كنّا في مقالنا هذا قد توخينا منهج التأريخ لحياة هذه الظاهرة: لنشوئها ثم رَواجها ثم أُفولها، فإننا سعينا كذلك إلى تفسير هذا المسار التاريخي اعتمادا على رؤية منهجية قائمة على فهم انتقال الثقافة العربية من المشافهة إلى التدوين. فطرد الشاعر من الإنشاد في المسجد لا يعود في رأينا إلى أسباب دينية بحتة وإنما يعود إلى تحوّل في الثقافة العربية نتج عنه تدهور منزلة الشاعر قياسا إلى منزلته سابقا، مقابل صعود نموذج جديد هو الكاتب بشتى أنواع صناعته.

كلمات مفتاحيّة: إسلامي، نص، سياق، مسجد، خطاب، شعر، ثقافة.

Abstract: this stud is part of a re-reading of Islamic heritage in order to review many of the prevailing postulates today. Perhaps among these prevailing postulates, the Islamic conscience refuses to use the mosque as a platform to recite poetry and view this phenomenon as a unorthodoxy or extreme immoral, or at least the poetry appears in the mosque as a paradox for the denomination,is corrupted. The tracking of the phenomenon of the recitation of poetry in the mosque led us to observe three main stages in the life of this phenomenon ; the delegate stage, the diliked stage, and the forbidden stage.

* المؤلف المرسل

Our article was not only limited to the historical study of this phenomenon from its appearance to its decline, but we also tried to axplain this route based on an approach which recognizes the passage of Arabic culture fram orality to literacy. To our minds, the exclusion of the poet from reciting in the mosque was not justified by purely religious reasons, but rather it was a shift in Arab culture that resulted in the deterioration of the poet's position compared to his previous status against the rise of a neww model writer with various types of interests .

Key words: Islamic ;text ; context ; mosque; discourse; poetry; culture.

تصدير:"لو لم يكتب عثمان المصاحف

لطفق الناس يقرؤون الشعر"

ابن أبي داود:كتاب المصاحف،ص13

مقدّمة: تتنزّل هذه الدّراسة ضمن الاهتمام بالسّياق، وهو اهتمام ما فتئ يتزايد منذ النصف الثاني من القرن العشرين في حقل الدراسات اللغويّة الأنجلوساكسونية منها على وجه الخصوص. ومعلوم أنّ هذا التوجّه قد جاء في إطار تجاوز المدرسة البنيوية وتدارك قصورها المتمثّل في حصر المعنى داخل أسوار النص. وقد اهتمّ بالسياق علماء اللسانيات الاجتماعيّة واللسانيات التداوليّة، ودشّن هذا الاهتمام جون فيرث[1] وذلك بتحويل مركز الاهتمام من الجانب التجريدي للغة إلى الأداء اللغوي. ولئن قسّم فيرث وغيره السياق إلى عنصرين أساسيّين: هما **السياق اللغوي***linguistic context ويعني الجانب التركيبي للغة الذي يتحكم في "تحديد معاني الوحدات اللغوية انطلاقا مما ورد قبلها وبعدها"[2]، ويتم فيه الانتباه إلى دور العناصر الصوتمية والصرفية والمعجمية والنحوية في بناء المعنى، و**السياق المقامي**context of situation** ويعني "جملة الشروط الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي تتحكم في دلالة الخطاب، إنها المعطيات الثقافية والنفسية والخبرات والمعارف الحاصلة لدى المخاطِب والمخاطَب"[3] أو هي "العناصر غير اللغوية التي تؤثر في خصائص النص ومن هذه العناصر مكان التلفظ وزمانه، وحال المرسل

والمتقبّل، والغاية من المحادثة..."[4]. ولقد ركز الناظرون في أثر السياق المقامي في بناء المعنى على عنصر التناسق بين النصوص والسياقات التي تحتضنها. وهو ما دفع أحد منظّري المدرسة السياقيّة إلى القول متحدّثا عن النصّ والسياق:" كلاهما متمّم للآخر، ويفترض كلاهما الآخر، وتعتبر النّصوص مكوّنات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتمّ تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النّصوص التي يستخدمها المتحدّثون والكتّاب في مواقف معيّنة"[5]. وقاد هذا التّركيز على عنصر التناسق بين النّصوص والسّياقات التي تحتضنها إلى عدّ المفارقة بين النّص والسياق بابا إلى توليد الفكاهة والهزل[6].

إنّ هذه السّمة الأخيرة حاضرة في التراث اللغوي والبلاغي العربي كذلك. فسواء وعى القدامى وعيا نظريّا عميقا بأثر السياق في المعنى أم لم يعوه[7]، فإنهم عادة ما أدرجوا مفارقة المقال للمقام[8] في أبواب العيِّ والغفلة والهُجنة وألحقوا النّاطقين بالنّصوص في غير سياقاتها بالجهّال والنّوكى والمغفّلين والموسوسين والممرورين والأشاعب وأصحاب النوادر والفكاهات والمُلح والمهرّجين. لقد حملوا خطاباتهم على ضعف العقل وفساد الطّبع والعجز عن البيان. ولعلّ مقالنا يسعى في جانب منه إلى نقض هذه المسلّمة.

يُعدّ المكان أحد أبرز مكوّنات السياق المقامي، لكننا لاحظنا في الدراسات النظرية المهتمّة بالسياق سواء عند القدامى أو المحدثين عزوفا عن دراسته[9]. وقد ركّز هؤلاء في المقابل على أحوال المتخاطِبيْن فاعتنى القدامى بمقتضى الحال واعتنى المحدثون بالتلفّظ[10] ولعلّ افتراض التناسق بين المكان والنص الذي يروَّج فيه من عوامل عدم الاهتمام بالمكان وأثره في توجيه دلالة النصوص. ومن ثمّ اخترنا أن ندرس المكان بوصفه مكوّنا من مكوّنات السياق المقامي: المسجد، واخترنا أن ندرس الشعر فيه بوصفه "مقالا" قائما على المفارقة بينه وبين المقام/ المكان(المسجد) أي بوصفه مقالا محمولا على الفساد.

لقد اخترنا دراسة ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد كذلك قصد تتبّع هذه الظاهرة والتأريخ لنشوئها فَرَواجها فَأُفُولها من جهة، وقصد فهم انتقال الثقافة العربية من ثقافة الشعر إلى ثقافة القرآن من جهة ثانية. وننبّه منذ البداية إلى أننا لا نعني بـ"الشعر في المسجد" اتّخاذه سنَدا وحجّة وشاهدا في العلوم الناشئة: علوم الدين من تفسير وفقه وسِيَرٍ وعلم كلام وتصوّف، وعلوم اللغة من نحو ومعجم واشتقاق، ولا نعني كذلك التمثّل به و روايته في الأخبار وعمل القصّاص المتصدّرين للقصّ في المساجد منذ أن سنّ معاوية بن أبي سفيان ذلك، وإنما نعني أن يقوم الشاعر منشدا في المسجد يؤمّ الجمهور، ويهدف إلى إقناعهم بقصيدته، وإمتاعهم بصوره ومعانيه وإيقاعه وهيئته، والفعل فيهم بكلمته الشعرية، وحيازة اعترافهم بفحولته وربوبيّته للكلام.

لقد احتضنت إنشاد القصائد قبل الإسلام ثلاث أمكنة نموذجية هي **نادي القبيلة:** مجالسها وحوانيتها وساحات حروبها ومنافراتها، و**بلاطات السادة** من "ملوك" وأثرياء كالنعمان بن المنذر وعمرو بن هند ومطعم بن عديّ، و**أسواق العرب** كسوق عكاظ خاصة وسوق ذي المجاز بدرجة أقل[11]. ومع ظهور الإسلام استمرت الأسواق: سوق المربد بالبصرة أساسا[12]، ونشأت بلاطات جديدة هي بلاطات الأمويين فالعباسيين وذوي شوكتهم وقرابتهم، **وتفكك نادي القبيلة على التدريج ليحلّ محلّه المسجد.** ولئن احتضنت أماكن جديدة الشعر في الإسلام كالدّيارات والبساتين ودور الخمّارين ومجالس الغناء فإنّ جميعها لا تحلّ محلّ نادي القبيلة الدّارس. إنّ المسجد في الإسلام كان الوريث الحقيقي لنادي القبيلة ومن ثَمّ هفا الشاعر إلى إنشاد قصائده فيه. وهي وراثة تبدو لنا بيّنة حين نضع في اعتبارنا أن المسجد كان "مكان اجتماع المسلمين يوميا ومركز مؤتمراتهم...منه تخرّج العلماء، وفيه كان الجرحى يُمرّضون، وبسواريه كان الأسرى يُربطون، وفي رحابه كان التقاضي والقضاء، وفيه كانت تجري الملاعنة بين الرجال والنساء، وفيه كانت تتمّ قسمة الغنائم...فهو ملتقى الأمّة وناديها

وجامعتها ومكان شوراها"[13]. بل إن دقيق الأمور كالمصاهرات وجليلها كالافتراق الديني–السياسي إنما كانت تُعقد في المساجد.

لقد قادنا تتبّع ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد إلى رصد ثلاث مراحل أساسية في حياة هذه الظاهرة: مرحلة أولى هي مرحلة حياة النبيّ وفيها كان الشعر في المسجد مندوبا، ومرحلة ثانية هي المرحلة الفاصلة بين وفاة النبي وعصر التدوين (نهاية القرن 2 هـ) وفيها كان الشعر في المسجد يتحول تدريجيا من الندب إلى الكراهة، ومرحلة ثالثة هي مرحلة التدوين (منذ القرن 3هـ إلى يومنا) وفيها أصبح الشعر في المسجد "حراما. ولعلّ هذه المراحل وهذه الأحكام باختلافاتها البيّنة هي التي دعتنا إلى أن نشفع عنوان مداخلتنا بنقطة استفهام. ونحن سنسعى في ما يلي إلى فكّ مغالق ذلك الاستفهام بمحاولة رصد الظاهرة في كل مرحلة والتأريخ لها ومحاولة تفسيرها.

1-الشعر في المسجد مندوبا: لقد فطن النبيّ منذ حداثة عهده بالمدينة إلى أن الإقامة على كراهة الشعر[14] أمر لا يمكن أن يستمرّ طويلا لأن الدّعوة لا تُمكّن لنفسها إلا به بين قوم جعلوا الشعر صناعتهم الأثيرة، ثم إن الرّكبان لا تسير في القبائل بالقرآن الغضّ بل بالقصائد المشتدّ عودها. ومن ثمّ طفق النبيّ يطلب لنفسه ولدعوته شعراء اشتهر منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك. ولعلّ الخبر التالي يترجم ذلك الطلب وتلك الاستعانة بالشعر:" كان يهجو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة رهط من قريش...فقال رسول الله: ما منع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها...فقال: اذهب إلى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك"[15] أو قال " إن روح القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحت عن الله عزّ وجلّ وعن رسول الله"[16]. وقد أغدق النبي على مناصريه من الشعراء العطايا فأعطى حسّانا بيرحاء: ضيعة من ضياع اليهود بالمدينة أو آطامهم، ووهبه سيرين أخت ماريا

القبطية[17] وأعطى كعبا بن زهير مائة من الإبل وكذلك أعطى الحارث بن هشام والعباس بن مرداس[18].

وقد تجلّت هذه المنزلة الأثيرة التي حظي بها الشعراء الموالون للنبيّ من خلال إنشادهم قصائدهم في مسجد النبي بالمدينة. من ذلك ما جاء في قصة إسلام كعب بن زهير: "ثم أقبل كعب بن زهير حتى أناخ راحلته **بباب مسجد رسول الله** صلّى الله عليه وسلم وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة وهو وسطهم...فأقبل كعب حتى دخل **المسجد** فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله فقال: يا رسول الله الأمان، قال: ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير...ثم أنشده*:بانت سعاد فقلبي اليوم متبول*...فلما بلغ إلى قوله: إن الرسول لسيف يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

أشار رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى **الحِلق** أن يسمعوا"[19]. ومن ذلك أيضا ما جاء من أخبار كثيرة في إنشاد حسان بن ثابت، فـ"عن محمد بن معاوية النيسابوري قال: حدثنا عبد الرحمان بن أبي الزناد عن أبيه وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبيّ وضع لحسان بن ثابت **منبرا في المسجد** ينشد، ثم قال: إن الله أيّد حسان بروح القدس ما نافح عن نبيّه"[20]، وكذلك الأمر في مفاخرة وفد بني تميم (بين الزّبرقان بن بدر وبين حسان بن ثابت) وقد تمّت في مسجد النبي[21]، وفي قصّة مدحيّة حسّان في أبي بكر الصدّيق[22]. ومن ذلك أيضا أن عبد الله بن رواحة قد أنشده في **المسجد الحرام** أثناء الطواف في عمرة القضاء سنة 7 هـ[23].

ولئن كانت جلّ هذه القصائد في مدح النبي وأصحابه وتسجيل بلائهم في الحروب وهجاء أعدائهم، فإنها قد احتوت على معاني الخمر والتشبيب بالنساء والقذف والإقذاع في الهجاء[24]. وليست غايتنا من هذه الملاحظة محاكمة الشعر أخلاقيا أو دينيا وإنما غايتنا تبيان قصور التبرير الديني–الأخلاقي الذي اعتلّ به اللاحقون

لرفض إنشاد الشعر في المسجد. بل إننا قد أحصينا في قصيدة بانت سعاد –وجملتها في الديوان 54 بيتا–13 بيتا في النسيب، و17 بيتا في وصف الرحلة والراحلة، و24 بيتا في الاعتذار والمدح[25]، ورغم ذلك احتفل بها النبيّ وخلع بردته على كعب بن زهير وأشار على أصحابه أنْ أنْصِتُوا. وتشير أخبار أخرى كثيرة إلى أن النبي كان يجمع في مجلسه بين قراءة القرآن وإنشاد الشعر ولا ضير[26]، وإلى أنّ أصحابه كثيرا ما خاضوا في الشعر في المسجد في حضرته وبحضور الشعراء ولا حرج[27].

يسمح لنا ما تقدّم من أخبار بالقول: إنّ إنشاد الشعر في المسجد على عهد النبيّ كان يعدّ أمرا طبيعيا بل إن النبيّ قد شجّع عليه خصوصا أنه قد احتاج إليه في صراعه ضد مناوئيه. لكن هذا الصراع لا يفسّر لنا ظاهرة الإنشاد في المسجد لأن النبيّ كان يمكنه أن يتخذ مكانا آخر لإنشاد الشعر. فالراجح إذن أن الظاهرة كانت تعدّ ظاهرة طبيعية لا تستحقّ ما أثاره اللاحقون حولها من رفض بلغ درجة التحريم. ولئن نافس الشعرُ النبوّةَ عند مناوئي النبيّ فإن مجرّد إعلان الشاعر إيمانه بمحمد ودخوله في صفّ أتباعه يجعله أهلا للإنشاد في المسجد النبويّ. ونحن نعتقد أن التحوّل في النظر إلى هذه الظاهرة هو ما يحتاج إلى التفسير.

2-الشعر في المسجد من المندوب إلى المكروه: يقف الناظر في هذه الفترة الممتدّة زهاء قرنين على جملة من الأخبار التي تؤكد تواصل ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد، ولكنه يقف كذلك على أخبار أخرى تؤكد بداية التضييق على الشعراء في ذلك. وقد بدا لنا الخبر التالي خبرا نموذجيا في الترجمة عن تلك الحال: "أخبرنا الفضل بن دكين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: مرّ عمر بحسّان وهو **ينشد في المسجد فلحظ إليه** فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، فسكت، ثم التفت حسّان إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله، أسمعتَ رسول الله يقول: أجبْ عنّي، اللهم أيّده بروح القدس؟ قال: نعم"[28]. ولم يقتصر الأمر على حسان وأمثاله من الشعراء ممّن عاصر النبي واكتسب

حجّية الصحبة واستند إلى سالف قوله على عهد النبيّ مثلما يعرضه الخبر السابق، بل إن أمصار الدولة الإسلامية الناشئة شهدت إنشاد الشعراء النابغين في مساجدها. فأنشد عمر بن أبي ربيعة(ت93هـ) في المسجد الحرام، واتخذ شعراء كثر الحجَّ مناسبة للشعر الغزلي وتحلّقت حولهم حلق الرجال والنساء، وأنشد جرير (ت110هـ) والفرزدق (ت110هـ) في مساجد البصرة والكوفة ودمشق وغيرها[29]، وأنشد ذو الرمّة(ت117هـ) في مسجد واسط[30] وفي المسجد الحرام[31]، وأنشد الكميت بن زيد (ت126هـ) في مساجد الكوفة[32]، وأنشد بشار(ت168هـ) في المسجد الجامع ببغداد[33]، و"كان أوّل ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معمر الخضري (ت150هـ) أن ابن ميادة مرّ بالحكم بن معمر **وهو ينشد في مصلّى النبي** صلّى الله عليه وسلم في جماعة من الناس"[34]، وتهاجى مسلم بن الوليد(ت208 هـ) وابن قنبر في مسجد الرّصافة يوم جمعة[35].

وقد عُرف في هذا العصر كثير من الفقهاء بميلهم إلى الغناء (غناء الشعر) وكان لبعضهم شعر غزليّ رقيق[36]، وكانت مجالسهم في المساجد عامرة بإنشاد الشعر[37] أو جامعة بين إنشاد الشعر ورواية الحديث والمغازي[38]، وكذلك كان حَجّهم[39]. ولعل خبر ابن عباس مع الخوارج وعمر بن أبي ربيعة يعرض سيرة ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد في هذا العصر: "بينا ابن عباس في **المسجد الحرام** وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مورّدين أو ممصّرين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمِن آل نُعم أنت غادٍ فمبكرُ * غداة غدٍ أم رائح فمهجّرُ.**

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنّا،

ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك: رأت رجلا أمّا إذا الشمس عارضت فيخزى وأمّا بالعشيّ فيخسر.

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلا أمّا إذا الشمس عارضت* فيضحى وأما بالعشيّ فيخصر.**

فقال: ما أراك وقد حفظت البيت! قال: أجل! وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها. قال فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها"[40].

إنّ صوت نافع ابن الأزرق يمثل في هذا الخبر الاتجاه الكاره لإنشاد الشعر في المسجد، وهو اتجاه قد بدأ يعبّر عن نفسه منذ حادثة عمر بن الخطاب مع حسان بن ثابت، وما فتئ يترسّخ طيلة القرن الأول والقرن الثاني[41]. ولئن لم نعثر على خبر صريح في منع الشعراء من إنشاد الشعر في المسجد فإنّ لجوء أولياء الأمور في أحايين كثيرة إلى تهديد الشعراء بإقامة الحدّ عليهم بسبب أقاويلهم الشعرية قد مهّد لطرد الشاعر من المسجد وحرمانه من الإنشاد فيه لاحقا. والأمثلة على ذلك كثيرة منها أنّ عمر بن الخطاب قد حبس الحطيئة في هجاء[42]، وحبس عثمان بن عفان ضابئا بن الحارث في شعر وزجر شعراء آخرين[43]، وحبس سعد بن أبي وقاص أبا محجن الثقفي في خمريّة[44]، وردّ القاضي إياس بن معاوية شهادة الفرزدق ردّا كيّسا[45]، وأمر الوليد بن عبد الملك بضرب جرير وتعزيره لأنه قذف المحصنات في شعره[46]، وأعطى عمر بن عبد العزيز الفرزدق أربعة آلاف درهم على أن يخرج من المدينة حين ولايته عليها[47]، أما حين تولّى الخلافة فقد حبس ثالوث النقائض عنه وأشرع بابه للفقهاء والقرّاء حتى أنشد جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته * هذا زمانك إني قد مضى زمني[48].**

إن جريرا قد تنبّأ في بيته هذا بطرد الشاعر من المسجد نهائيا وباستئثار القارئ بالمسجد دون المُنشد، وهو ما سيتمّ لاحقا أي منذ عصر التدوين.

3-الشعر محظورا: تدفعنا إلى الربط بين عصر التدوين ومنع إنشاد الشعر في المسجد ثلاثة أسباب:

-أولها أننا لا نعثر على أخبار منذ نهاية القرن الثاني في اقتحام الشاعر بشعره المسجد للإنشاد فيه إلا في ما ندر. وإن حدث ذلك فعلى سبيل المشاكسة واللّهو[49].

-ثانيها أننا نميل إلى القول إنّ حديث منع إنشاد الشعر في المسجد قد ظهر خلال القرن الثالث للهجرة. فلئن كنا لا نعثر في مصنف الإمام مالك (ت170هـ): الموطّأ على هذا المنع، ولا نعثر عليه كذلك عند البخاري (ت256هـ): الصحيح الجامع، ولا عند مسلم (ت261 هـ): المسند الصحيح، فإنّ مصنف الترمذي (ت279هـ): الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي قد احتوى عليه: "حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أنه نهى عن تناشد الأشعار في المسجد، وعن البيع والاشتراء فيه، وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة"[50]. ولعلّ ما ذيّل به الترمذي هذا الحديث من أقوال تنزع إلى الدفاع عن حجّية هذا الحديث ومن تأكيد على عدالة عمرو بن شعيب (راوي الحديث) يعدّ دليلا إضافيا على ظهور هذا الحديث مع الترمذي. وهو حديث قد ردّه ابن حزم في المحلّى مما يؤكد ما ذهبنا إليه. ثم إنّ الجمع بين أخبار النبيّ مع حسّان بن ثابت أو كعب بن زهير وبين حديثه هذا لا يستقيم. ولا شك عندنا في أنّ عمر بن الخطاب في خبره مع حسان، أو نافعا بن الأزرق في خبره مع ابن عباس -وغيرهما-ما كانا ليتردّدا في الاحتجاج بهذا الحديث لو كان متداولا قبل القرن الثالث للهجرة. والطريف أنّ اختلاق هذا الحديث لم يعن البتّة عدم العمل به، بل على العكس: لقد أغلقت أبواب المساجد دون إنشاد الشعراء بفضل هذا الحديث منذ عصر التدوين إلى اليوم[51]. وتفسير ذلك أنّ وضعية الثقافة

العربية الإسلامية في القرن الثالث كانت محتاجة إلى مثله، وهو ما سنحاول تفسيره في تناول السبب الثالث.

-ثالثها أننا نرى في الانتقال إلى التدوين تخلّيا عن المشافهة، وبالتالي تخلّيا عن الشاعر باعتباره عون المشافهة لصالح أعوان الكتابة وهم الأعوان الجدد الذين عمّروا المسجد والسوق والبلاط. ومن ثم فإننا لا نعدّ منع الشاعر من الإنشاد في المسجد أمرا يعود إلى سنن الدين وأحكامه بقدر ما نعدّه أمرا راجعا إلى سنن الثقافة وأحكامها. لقد حلل الباحث عادل خضر التغيّرات الطارئة على وظيفة الأديب بفعل التحوّلات الوسائطية الناجمة عن الانتقال من المشافهة إلى التدوين، وحدّد تبعا لذلك ثلاث وظائف أساسية أُنيطت بالأديب منذ عصر التدوين هي:

- وظيفة التمثيل: تمثيل القوّة أو جعل الخاصة خاصة، ونموذجها الآداب السلطانية (الكاتب-الواعظ).

- ووظيفة الرقابة: رقابة الكلام وصناعة قوانين الكلام، ونموذجها علوم اللغة (النحويّ).

- ووظيفة النقل: نقل التراث، ونموذجها علوم الدين (الأخباريّ)[52].

والطريف أن يحلّ هؤلاء الثلاثة في المسجد و"يطرد" الشاعر، بل ويحاكمه هؤلاء وينازعونه سلطته لأنه حلّ في غير سياق: أي لأنه عون المشافهة الغريب عن ثقافة الكتابة. فالشعر في المسجد ليس "نصا" في غير سياقه بسبب كون المسجد بوصفه مؤسسة دينية لا تحتمل الأقاويل الشعرية لما فيها من خروج عن الأوامر والنواهي الدينية وعن قويم السلوك، وإنما هو نصّ ما فتئ يضحى غريبا عن سياق المسجد كلما رسخت ثقافة الكتابة في المسجد وفي المجتمع وترسّخ معها عمل الدّولة. ولعله لذلك السبب قطعت ظاهرة إنشاد الشعر في المسجد مراحل هي نفسها مراحل تحوّل الثقافة من المشافهة إلى التدوين. ومعلوم أن هذا التحوّل إنما تمّ على التدريج شأنه

في ذلك شأن "طرد" الشاعر من المسجد الذي تمّ هو أيضا على التدريج مثلما بينّا ذلك ونحن نؤرّخ لهذه الظاهرة بما عثرنا عليه من أخبار.

ولئن كنا لا نعرف خبرا في إنشاد الشعر في المسجد منذ القرن الثالث للهجرة فإننا لا نستغرب حدوث ذلك نظرا لخصيصة سمّاها ريجيس دوبريه استمرار المجال الوسائطي القديم في المجال الوسائطي الجديد مدّة من الزمن[53]. وهي مدة تطول نسبيا في ما يتعلق بالانتقال من المجال الشفوي إلى المجال الكتابي[54]، ولكنه استمرار يفقد فيه المجال الوسائطي القديم (المشافهة) قوة تأثيره على أية حال.

وبما أن لكل مجال وسائطيّ مكانا مركزيا هو مكان الاتصال العام الأكثر نجاعة[55]، فإن هذا المكان في الحضارة العربية الإسلامية قديما هو المسجد بسبب من النشأة الدينية للدولة في هذه الحضارة. وقد تهافت على المسجد منذ ظهوره كلّ منتجي الرسائل والخطابات بما في ذلك الشاعر لكن انتصار الكتابة على المشافهة أبقى على أعوان الكتابة أسيادا للخطاب و"طردَ" الشعراء. ونحن نلاحظ أن "حفلات" إنشاد الشعر قد تم استبدالها على التدريج بـ"حلقات" تعليم العلم في المساجد: الفقه والنحو والتاريخ وعلم الكلام والأنساب...[56] وهو تعليم متضامن مع السلطة السياسية في الجوهر لأنه قائم على التراتب من جهة أولى(المعلّم/المتعلم)، وعلى النّقل/التقليد من جهة ثانية (تراث السلف)، وعلى العقل/القوانين المضبوطة(الصناعة) من جهة ثالثة. أما الشاعر فإنه على العكس من ذلك تماما لأنّ إنشاده قائم على التشارك بدل التراتب (مسرحة الإلقاء الشعري ومشاركة السامعين بإبداء صيغ الإعجاب وغيرها)، وعلى الإبداع بدل التقليد، وعلى الحسّ/ خرق قوانين الكلام بدل الانضباط للقانون. لقد بيّن ريجيس دوبري تقاطع الاعتقاد والسلطة في المثلث التالي[57]:

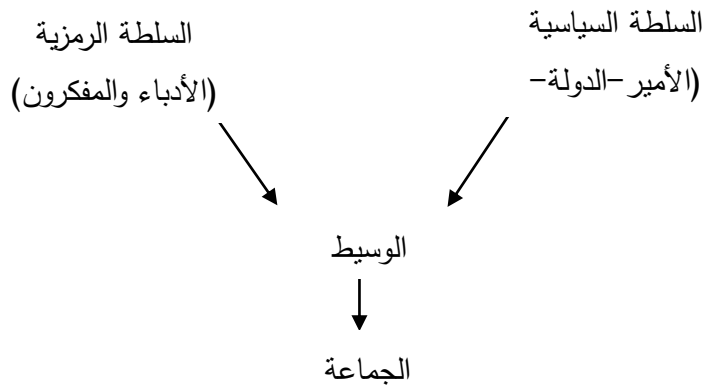

ولئن كان لفظ الجماعة دالاّ على جميع الأفراد المنضوين في جسم الدولة، فإننا نودّ أن نشير إلى خصيصة تتميّز بها هذه الجماعة في سياق بحثنا: هي **العامّة والخاصة** في ما يتعلق بإنشاد الشعر، وهي **الخاصّة** في ما يتعلق بتعليم "العلوم"[58] وهذا التّمييز دال في رأينا بوصفه تعبيرا عن استبعاد العامة-تبعا لاستبعاد الشاعر- من دائرة السلطة بنوعيها: إلجام العوام عن علم الكلام، وإلجام الرعاع عن شؤون الحكم. وقد عبّر الحديث النبوي الذي ظهر في القرن الثالث عن ذلك أجود تعبير حين جمع بين طرد الشاعر (إنشاد الشعر/ضياع الصوت في الفضاء) وطرد الأعرابيّ (نشدان الضالّة/ ضياع الناقة في الصحراء)[59]، وكأنه يستعيد ما جاء في الخطاب القرآني من ذمّ للشعراء وللأعراب: كلاهما ينتميان إلى عالم البداوة (ما قبل الدولة) وإلى عالم المشافهة (ما قبل الكتابة). وبما أن تحليل دوبريه أثبت أن الرقابة في حال المشافهة تُمارس على الأشخاص، بينما تُمارَس في حال الكتابة وغيرها من وسائل الاتصال غير الشفاهية (الكتابة، الطباعة، السمعي-البصري) على وسائل البث وقنواته، فإنّ "طرد" الشاعر من المسجد يعدّ من باب رقابة الدولة على أجهزة الاتصال الجماهيري في ذلك العصر: المسجد.

إنّ طرد الشاعر من الإنشاد في المسجد لا يعود إذن إلى أسباب دينية بحتة وإنما يعود إلى تحوّل في الثقافة العربية نتج عنه تدهور منزلة الشاعر قياسا إلى منزلته سابقا، مقابل صعود نموذج جديد هو الكاتب بشتى أنواع صناعته (فقه، حديث، رسائل، تاريخ، نحو...)[60]، ولعلّ هذا الانقلاب في الأدوار يتجلى لنا حين نقايس بين أعشى همدان (ت83 هـ) الذي ترك الفقه ليقول الشعر[61]، وبين مساور بن سوّار بن عبد الحميد (ت160 هـ) الذي أوصى ابنه بترك الشعر وتعلّم الفقه للفوز بالدنيا[62].

خاتمة: إنّ المسجد بوصفه مكان البلاغ والإبلاغ النموذجيّ في الحضارة الإسلامية لم يكن منذ البداية متنافرا مع الشعر، بل إنه كان محتضنا له في بدء أمره حتى اعتلى بعض الشعراء منبر النبيّ في حياته على ما في قصائدهم من تغنّ بالمرأة وبالخمر، وعلى ما فيها من إقذاع وقذف. وقد تطلّب الأمر قرنين من الزمان ليغدو إنشاد الشعر في المسجد إنشادا في غير سياق. ولم يكن مردّ هذا التحوّل ورعًا دينيّا فاق فيه الأواخر سلَفهم وإنما مردّه تغيّر على التدريج في الثقافة من ثقافة المشافهة إلى ثقافة الكتابة، وتبدّل بطيء من القبيلة إلى الدولة. وهو تغيّر استوجب استبدال عون المشافهة: الشاعر بعون الكتابة: الكاتب. ولعلّ هذا الأمر يسمح لنا بالقول إن التناقض بين المكان (المؤسسة) مهما كان نوعه وبين ضروب الخطاب مهما كان نوعها ليس تناقضا أصليّا وإنّما هو محكوم بالسياق الثقافيّ.

قائمة المصادر والمراجع:

أ–العربية

–القرآن الكريم

– الأفغاني (سعيد): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–القاهرة، ط3،1974.

- الأصفهاني (أبو الفرج، ت356هـ): الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2002.

-الأصفهاني (أبو نعيم، ت430هـ): المنتخب من كتاب الشعراء. تحقيق ابراهيم صالح، دار البشائر، ط1 ،1994.

- البلاذري (أحمد بن يحيى، ت279 هـ): أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت.

- الترمذي (أبو عيسى، ت279 هـ): سنن، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط2 ،1978.

- ابن ثابت (حسان، ت54 هـ): الديوان، شرح عبد الرحمان البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر 1929

- الجمحي (محمد بن سلام، ت231 هـ): طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت،2001.

-جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تعريب عباس صادق الوهاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،1987.

- خضر (عادل): الأدب عند العرب، مقاربة وسائطية، كلية الآداب منوبة ودار سحر للنشر، تونس، ط1 ،2004.

- الخضيري (ابراهيم بن صالح): أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، دار الفضيلة للنشر، الرياض، ط2 ،2001

- الرياصي (مفتاح يونس): المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول 132هـ-232 هـ، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، ط1 ،2010.

- ابن زهير (كعب، ت26هـ): الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، شرح ودراسة مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ط1 1989.

–ردّة الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1418هـ.

– الزركشي (محمد بن عبد الله، ت794هـ): إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف–مصر، ط4 ،1996.

– سعد (فهمي): العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي، بيروت.ط1 .1993.

– ابن سعد (محمد بن منيع، ت230 هـ): كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ،2001.

– ضيف (شوقي): الشعر والغناء في المدينة ومكة عصر بني أمية، دار المعارف–القاهرة، ط4.

– ابن عبد البر (أبو عمر يوسف، ت463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت،2006.

– ابن عبد ربه (أحمد بن محمد، ت328 هـ): العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1997.

– عصفور (جابر): تحول النموذج الأصلي للشاعر، مجلة العربي ع 382، س1994، كذلك: نفسه: فضائل الكتابة، مجلة العربي، ع391 س1995 ص98–103

– ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله، ت276 هـ): الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث،القاهرة، د.ت

– القرشي (أبو زيد، ت170هـ): جمهرة أشعار العرب، دار المسيرة، بيروت، 1983.

- الكلبي (محمد بن السائب، ت204 هـ): كتاب مثالب العرب، تحقيق أمجد حسن سيد أحمد، جامعة بنجاب-لاهور،1977.

-مؤلف جماعي: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، سلسلة الآن، الكتاب5، منشورات الاختلاف(الجزائر) ودار مكتبة البصائر(بيروت) ومؤسسة السياب(لندن)، 2015.

- مسلم (أبو الحسين، ت261هـ): المسند الصحيح صحيح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ،2000

- ابن منظور (جمال الدين، ت711 هـ): لسان العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت

- أبو نواس (الحسن بن هانئ، ت196 هـ)، الديوان تحق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953.

- ابن هشام (عبد الملك، ت218 هـ): السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2000.

-وانلي (خير الدين): المسجد في الإسلام، أحكامه، آدابه، بدعه، المكتبة الإسلامية، عمان-الأردن، ط3، 1414هـ.

ب-الأعجمية:

- Dictionnaire de psychologie(sous la direction de Roland Doron et Francoise Parot,PUF ?3eme ed,2011.

-Dubois(J)et autres :Dictionnaire de linguistiques,Larousse-Paris1973.

- Grand Dictinnaire des lettres,Larousse-Paris1986

- J.R.Firth :papers in linguistics ,London1957 and The tongues of men and speech ,London1964.

- Régis Debray :- cours de médiologie générale,Gallimard.Paris 1991.

———— -manifestes médiologiques, Gallimard.Paris.1994.

الإحالات.

[1]-J.R.Firth :papers in linguistics ,London1957 and The tongues of men and speech ,London1964

*ويسمى أيضا سياق النص، ويسمى بالانجليزية أيضاverbal context

[2]-Grand Dictionnaire des lettres,Larousse-Paris1986,T2 p944 ;voir aussi :Dictionnaire de psychologie(sous la direction de Roland Doron et Françoise Parot,PUF ?3eme ed,2011,p157-158

**ويسمى أيضا سياق الموقف أو السياق غير اللغوي، ويسمى بالانجليزية أيضا-the non linguistic context

[3]-Dubois(J)et autres :Dictionnaire de linguistiques,Larousse,Paris1973,p120

[4]-Dictionnaire de psychologie(sous la direction de Roland Doron et Françoise Parot,PUF ?3eme ed,2011,p158

[5]–جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تعريب عباس صادق الوهاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،1987 ، ص215.

[6]–نفسه، ص224.

[7]– يميل الدارسون العرب المعاصرون إلى التأكيد على أصالة نظرية السياق في التراث البلاغي العربي، انظر مثلا: مؤلف جماعي: نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، سلسلة الآن، الكتاب5، منشورات الاختلاف(الجزائر) ودار مكتبة البصائر(بيروت) ومؤسسة السياب(لندن)، 2015، خصوصا الفصل الثاني: تأصيل نظرية السياق في الفكر العربي ص ص 49–154، كذلك: ردّة الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ، الباب الأول: السياق في التراث العربي والفكر اللغوي الغربي، ص ص45–205.

[8]–لقد تحكمت مسلمة "**لكل مقام مقال**" في التراث البلاغي العربي

9–عادة ما تكون الإشارة إلى المكان خاطفة في ذيل الدراسات المهتمة بالسياق، لنظر مثلا: جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، الفصل العاشر(الأخير)، كذلك: ردّة الله الطلحي: دلالة

السياق، الفصل الثالث من الباب الثالث(الأخير) ص ص 519-520. وهما يتناولان المكان باعتباره مجرّد معطى جغرافي ولا يتنبهان إلى المكان باعتباره مؤسسة ومعطى ثقافيا.

10-انظر: باديس الهويمل: عبارة "لكل مقام مقال" في مفتاح العلوم للسكاكي، متابعة بلاغية سياقية، ص ص133-154، ضمن نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، مرجع مذكور.

11-انظر: سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-القاهرة، ط3 ،1974. ص ص277-388، كذلك: ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، دار الأنصار، القاهرة، ط1 ،1977، فصل: نشاط عكاظ الأدبي، ص ص67-86. وممّا جاء من أشعار العرب في هذا الإطار قول أميّة بن خلف الخزاعي:

ألا من مبلغ حسّان عني*** مغلغلة تدبّ إلى عكاظ

فأجابه حسان بن ثابت:

سأنشد إن بقيت لكم كلاما*** ينشّر في المجامع من عكاظ

ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد الرحمان البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر 1929، ص ص 241-242.

12-اعتبره سعيد الأفغاني وريث عكاظ، وقال عنه: "في عهد الأمويين صار سوقا عامة تتخذ فيه المجالس، ويخرج إليها الناس كل يوم، كل إلى فريقه وحلقته وشاعره...فيتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون" مرجع مذكور، ص409، وانظر كامل الفصل المخصص لسوق المربد ص ص 407-453

13-خير الدين وانلي: المسجد في الإسلام: أحكامه، آدابه، بدعه، المكتبة الإسلامية، عمان-الأردن، ط3، 1414 هـ، ص ص 9-11

14-الشعراء 221/26-226

[15] –الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2002،ج4 ص144–145، كذلك القرشي (أبو زيد):جمهرة أشعار العرب، دار المسيرة، بيروت، 1983، ص13.

[16] –نفسه، ج4 ص149، كذلك: صحيح مسلم، باب فضائل حسان بن ثابت ضمن كتاب الفضائل، كذلك ابن عبد البر (أبو عمر يوسف، ت463 هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت،2006، ج1، ص204–209.

[17] –نفسه، ج4 ص166–167، كذلك ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص208.

[18] – ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2000، ج4 ص ص81–82، كذلك ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1 ص183.

[19]– الأصفهاني: الأغاني، ج17 ص92–93، كذلك ابن هشام: السيرة النبوية،ج4 ص91. كذلك: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص ص 153–155 وخبر خلع النبي بردته على كعب إعجابا بهذه القصيدة معروف.

[20]–ابن سعد (محمد بن منيع، ت230 هـ):كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1 ،2001 ،ج4 ص327، كذلك: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل حسان بن ثابت، كذلك ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1 ص168، كذلك الأصفهاني: أبو نعيم: المنتخب من كتاب الشعراء، تحقيق ابراهيم صالح، دار البشائر، ط1، 1994، ص48.

[21]–انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج4 ص122– 125، وابن سعد: الطبقات ج1 ص 255 وج6 ص165–166 والأصفهاني: الأغاني ج4 ص153–157.

[22]-" عن عبد الله بن مسعود قال: بلغ النبي صلّى الله عليه وسلم أنّ قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم فصعد **المنبر** فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ليس أحد منكم أمنّ عليّ في ذات يده ونفسه من أبي بكر، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ثم التفت إلى حسان فقال: هات ما قلت فيّ وفي أبي بكر فقال حسان..." ضمن القرشي: جمهرة أشعار العرب، ص13.

[23]-ابن سعد: الطبقات، ج2 ص114 وج3 ص488، ونرجّح أن الخبر يتعلق بكعب بن مالك لأن ابن رواحة قد قتل يوم مؤتة، انظر: الترمذي (أبو عيسى، ت279 هـ): سنن، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط2 ،1978، الباب70، الحديث رقم2847، ج5 ص140 .

[24]-راجع قصيدة حسّان التي مطلعها: عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء، ضمن ديوانه، ص ص 1-10، راجع كذلك الصفحات التالية من ديوانه:42 و55 و59 و71 و157 و159-161 و213 و229 و362-365 و397 و400 ضمن ديوان حسّان بن ثابت (وكلّها من شعره الإسلامي لا الجاهلي)، وانظر كذلك قصيدة قردة بن نفاثة التي أعلن فيها إسلامه ووصف فيها الخمر وشبّب بالنساء وقد نال عليها عطاء من النبي، ضمن ابن سعد: الطبقات، ج6 ص199-206

[25]-كعب بن زهير: الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، شرح ودراسة مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ط1 1989، ص ص109-116. وتعدّ القصيدة في سيرة ابن هشام58 بيتا، منها 14 بيتا في النسيب، و22 بيتا في وصف الرحلة والراحلة، و22 بيتا في الاعتذار والمدح. ومعلوم أنّ نقّاد الأدب عدّوا قصر القسم المدحي الخالص مقارنة بالمقدمات عيبا من عيوب القصيدة المدحيّة، انظر مثلا: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص ص76-77.

[26]-الأصفهاني (أبو نعيم): المنتخب من كتاب الشعراء، ص43.

[27]-"عن جابر بن سمرة قال: جالست رسول الله أكثر من مائة مرّة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم" ابن سعد الطبقات، ج1

ص320، كذلك: الأصفهاني (أبو نعيم): المنتخب من كتاب الشعراء، ص44، كذاك: ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1997 ، ج6، ص ص 123–129 .

[28]–ابن سعد: الطبقات، ج4، ص326–327، كذلك: مسلم: صحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، حديث رقم 2485، كذلك أبو داود: سنن، دار الجيل، بيروت،1988، ج4 ص305 (باب ما جاء في الشعر)، كذلك الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص150.

[29]–وردت ضمن الأغاني أخبار كثيرة في تهاجيهما في المساجد، اخترنا منها الخبر التالي: "أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم **في مسجدهم فأنشدهم**، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتق الله، **فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة**. فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني..." الأصفهاني: الأغاني ج8 ص56، راجع كذلك ج8 ص69 وج21 ص350 و368. وفي السجد الجامع بدمشق أنشد أيضا يزيد بن المفرّغ (ت70 هـ)، انظر الأغاني، ج18 ص278.

[30]–الكلبي (محمد بن السائب): كتاب مثالب العرب، تحقيق أمجد حسن سيد أحمد، جامعة بنجاب–لاهور،1977، ص44.

[31]–الأصفهاني: الأغاني، ج18 ص18.

[32]–الأصفهاني: الأغاني، ج17 ص12، ويشير الخبر إلى أن مناظرة الكميت وحمّاد الراوية جرت في مسجد الكوفة الجامع يوم الجمعة.

[33]–"...حدثني عبد الرحمان بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمان بن عياش بن أبي ربيعة عن أبيه قال:...فلما ولي المهدي أمّن الناس جميعا وأطلق المحبوسين، فقدمت بغداد أنا وإخوتي نلتمس أمانا من المهدي، **وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون**، فلم أطلع بشارا على نفسي وصحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أحب الخاتم الأحمـ *** ـر من حب مواليه

فأعرض عني وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

إن سلمى خلقت من قصب *** قصب السكر لا عظم الجمل

فغضب وصاح: من الذي يقرعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيرنا بها، فتركته ساعة ثم صحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أخشاب حقا أن دارك تزعجُ *** وأن الذي بيني وبينك يَنهج

فقال: ويحك، عن مثل هذا فسلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، وفيه غناء" الأصفهاني: الأغاني، ج3 ص173-174.

[34]-الأصفهاني: الأغاني، ج2 ص279.

[35]-نفسه، ج19 ص67.

[36]-منهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت98 هـ) وعروة بن أذينة (ت130 هـ) وابن جريج (ت150هـ) وابن أبي عتيق (ت101 هـ) وعبد الرحمان بن أبي عمار الجشمي (القسّ، ت بعد 114 هـ) وأبي السائب المخزومي (ت110هـ) وسعيد بن المسيب (ت94 هـ) وابن سيرين (ت110 هـ) راجع: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج3 ص391 وج6 ص133-135، كذلك: شوقي ضيف: الشعر والغناء في المدينة ومكة عصر بني أمية، دار المعارف-القاهرة، ط4، والأغاني ج1 ص278 و220 و348 وج21 ص105 وص308.

[37]-"كان ابن أبي عتيق وأصحاب له يجتمعون بالمدينة في **مسجد رسول الله فينشدون الشعر** وكان بناحية من المسجد رجل يصلي فيطيل الصلاة فإذا سلم قال لهم: **يا فسقة، أتنشدون الشعر في مسجد رسول الله؟** فانصرف ابن أبي عتيق يوما من المسجد فقالت له جاريته إن رجلا يصلي قرب حلقتكم يتعرض بي ويدعوني إلى ما لا يحل له..."البلاذري (أحمد بن يحيى، ت279 هـ): أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت ج10 ص 107 -108.

[38]–"عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنا نحضر ابن عباس فيحدثنا العشية كلها في المغازي والعشية كلها في النسب والعشية كلها في الشعر" ابن سعد: الطبقات، ج6 ص334، كذلك ج2 ص318.

[39]–:"كان (ابن عباس) **محرما**، فأخذ بذنب ناقته وهو يقول:

وهن يمشين بنا هميسا***إن تصدق الطير....لميسا. فقيل له: يا ابن عباس، أتقول الرفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما خوطبت به النساء" ابن منظور: لسان العرب، مادة (ر.ف.ث)، وقد حذفنا من البيت كلمة نابية جدا.

[40]– الأصفهاني: الأغاني. ج 1 ص 81–83.

[41]–" أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم في مسجدهم فأنشدهم، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق، فقال له شيخ منهم: **يا هذا اتق الله، فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة**. فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني..." الأصفهاني، الأغاني ج8 ص56، راجع كذلك الأخبار السابقة.

[42]–ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص51، كذلك ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص316.

[43]–نفسه، ص ص71–73،

[44]–نفسه، ص103–104.

[45]–الأصفهاني: الأغاني: "شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهودا" ج21 ص402.

[46]–نفسه، ج8 ص7.

[47]–نفسه، ج21 ص405.

[48] –نفسه، ج8 ص51.

[49]–من ذلك أخبار أبي نواس في التغزل بالغلمان في المساجد، راجع أخبار أبي نواس ضمن كتاب الأغاني، ج25 (وهو الجزء المستدرك على الأغاني والذي ضم أخبار أبي نواس نقلا

عن ابن منظور)، انظر كذلك ديوان أبي نواس، تحق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953، ص295 و696 و707 و711و723، وأخبار ابن مناذر الشاعر (ت198 هـ)، ضمن كتاب الأغاني، ج18 ص178 و194 و199 و214-215.

[50]-الترمذي (أبو عيسى، ت279 هـ): سنن، الباب 240 "ما جاء في كراهية البيع والشراء وإنشاد (الضالة) والشعر في المسجد"(كذا)، حديث رقم 322، ج2 ص139.

[51]-انظر مثلا في القرن الثامن: الزركشي (محمد بن عبد الله، ت794 هـ): إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق مصطفى المراغي، وزارة الأوقاف-مصر، ط4 ،1996، ص ص 322-323، وفيه: "عن ثوبان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من رأيتموه ينشد شعرا في المسجد فقولوا: فضّ الله فاك ثلاث مرات". أما في عصرنا فانظر مثلا: خير الدين وانلي: المسجد في الإسلام: أحكامه، آدابه، بدعه، ص ص202-203، كذلك ابراهيم بن صالح الخضيري: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، دار الفضيلة للنشر، الرياض، ط2 ،2001، مج2، ص ص235-238. ويستثني المؤلفان ما كان من الشعر "علما نافعا أو وعظا ".

[52]-عادل خضر: الأدب عند العرب، مقاربة وسائطية، كلية الآداب منوبة ودار سحر للنشر، تونس، ط1 ، 2004 ، الباب الثالث: مولد الأديب ووظائف الأدب، ص ص 379-537.

[53]- Régis Debray : cours de médiologie générale,Gallimard.Paris 1991 p250-253 ;aussi : manifestes médiologiques, Gallimard.Paris.1994 p44-47.

[54] -Régis Debray : manifestes médiologiques, Gallimard.Paris.1994, 47-55.

[55]- Régis Debray : cours de médiologie générale,p238.

[56]-انظر: مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول 132هـ-232 هـ، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، ط1 ،2010، ص ص 69-85.

[57] -Régis Debray : cours de médiologie générale,p316.

[58]–انظر: فهمي سعد: العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي، بيروت.ط1 ،1993، ص285 و294 و352–354 و294، ويكفي أن نعرف أن متوسط دخل الفقراء في القرن الثالث هو 300 درهم سنويا بينما كان أدنى سعر للكتاب الواحد 150 درهما.

[59]–نستلهم العنوان الدال: "الملعونان: الأعرابي والشاعر" الوارد ضمن عادل خضر: الأدب عند العرب، ص 464.

[60]– جابر عصفور: تحول النموذج الأصلي للشاعر، مجلة العربي ع 382، س1994، كذلك: نفسه: فضائل الكتابة، مجلة العربي، ع391 س1995 ص98–103.

[61]–الأصفهاني: الأغاني، ج6 ص41.

[62]–نفسه، ج18 ص155، يتجلى هذا الانقلاب كذلك من خلال المقارنة بين منزلتي عكرمة (الفقيه) وكثيّر عزة (الشاعر) خلال القرن الأول "مات كثيّر وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فاجتمعت قريش في جنازة كثيّر ولم يوجد لعكرمة من يحمله" ضمن الأصفهاني: الأغاني، ج9 ص47، وبين منزلتي سفيان بن عيينة (الفقيه) وابن مناذر (الشاعر) نهاية القرن الثاني: "قال (ابن مناذر) له (ابن عيينة): "إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي" الأصفهاني: الأغاني، ج18 ص198.